وما سواها (125)

مُعضلة التراث والمعاصرة!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa125-290616.pdf

د. صـــــادق السامرائـــــي
أمريكـــا - العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

من أخطر الأفكار التي طُرحت في القرن الماضي , والتي كانت تهدف لجعل الحاضر عدو الماضي أو ضحيته , وقد أتت أوكلها وفعلت ما فعلت بالواقع الفكري والثقافي والسياسي والإجتماعي , وهي فكرة مسمومة قاتلة أسست لوجود فكري وحالة إقترابية سالبة تجاه الماضي , وأنزلته من علياء أنواره إلى ظلمات الحضيض , ودفعت بالأجيال للتمرغ بآثامه وأمراضه , وأحرقت كل جيد تمثل فيه وجسّده , وكانت تهدف إلى إحالة الماضي بأفكاره وأخلاقه وقيمه إلى معضلة , ولا زالت نيران تلك الفكرة تسري بيننا.

وقد عبّرت عن ذلك كتابات ومؤلفات وخطابات عديدة ذات عناوين كبيرة تصرّح بالتراث والمعاصرة , وتحسب التراث مشكلة المشاكل ومن أهم عوائق التقدم والتطور.

وهي في خفايا نواياها ودوافعها تبغي تحريف الماضي وتجهيل الأجيال الحاضرة بجواهره وأنواره , وترمي في مساعيها إلى تمرير مشاعر الذل والهوان والدونية واليأس والضعف , والهزيمة في أعماق النفوس والتحطيم الإرادة والذات.

وإثارة الشكوك بما موجود في التأريخ , حتى أنتجت بشرا يسعى إلى الكتابة السيئة عن التأريخ والنيل من أعلامه , وتدمير ما هو منير وعالي الشأن فيه ووصفه بأحقر الألفاظ والمسميات.

وصدرت كتب عديدة في هذا الإتجاه بعد أن يوضع على أغلفتها عناوين كتابها ودرجاتهم المزعومة ومقاماتهم الكاذبة , لتحقيق أعلى درجات التضليل والتدمير للعقل والروح والنفس.

إن منهج التراث والمعاصرة , لم يكن منهجا بنّاءً كما يبدو ويؤكد , لأن الممارسات الفاضحة التي نجمت عنه قد نسفت الكلمات المدونة في صفحات كتبه وخطاباته.

فهو يتخذ ذات المَسعى الذي سلكته الحركات الوحدوية , التي نادت بالوحدة وبضرورة التفاعل الوحدوي مع أبناء البلاد العربية , وهي دعوات بحاجة لخبرات عقول ومهارات تعول , لكنها في ممارساتها وما أكدته بسلوكها نسفت أسس وبذور وقدرات ومعالم الوحدة , حتى أصبحت من الأحلام البعيدة أو المستحيلات الأكيدة , لأن الحركات الوحدوية أوجدت حواجزا وبنت أسوارا إنفعالية ونفسية سميكة ما بين أبناء البلدان العربية .

وتطور الأمر إلى إقامة الحواجز الأكثر سمكا ما بين أبناء الوطن الواحد , فتداعت الأوطان وتحوّلت

من أخطر الأفكار (التراث والمعاصرة)التي طُرحت في القرن الماضي , والتي كانت تهدف لجعل الحاضر عدو الماضي أو ضحيته , وقد أتت أوكلها وفعلت ما فعلت بالواقع الفكري والثقافي والسياسي والإجتماعي

هي فكرة مسمومة (التراث والمعاصرة) قاتلة أسست لوجود فكري وحالة إقترابية سالبة تجاه الماضي , وأنزلته من علياء أنواره إلى ظلمات الحضيض , ودفعت بالأجيال للتمرغ بآثامه وأمراضه , وأحرقت كل جيد تمثل فيه وجسّده

هي في خفايا نواياها ودوافعها تبغي تحريف الماضي وتجهيل الأجيال الحاضرة بجواهره وأنواره

أن الطروحات التي سُمّيت فكرية أو سياسية في النصف الثاني من القرن العشرين , كانت تهدف إلى

إلى موجودات ممزقة , وحالات ضعف متصارعة ونازفة لطاقاتها وقدراتها , حتى لأصبحت الدعوات للوحدة الوطنية لا تجدْ مَن يصغي إليها أو يرعاها.

أي أن الطروحات التي سُمّيَت فكرية أو سياسية في النصف الثاني من القرن العشرين , كانت تهدف إلى غير ما تقوله وتدّعيه , عن قصد أو غير قصد , وهي تتخذ الشعارات والدعوات الجذابة ربما قناعا لتمرير ما تريده من الأهداف الضارة بالحاضر والمستقبل.

غير ما تقوله وتدّعيه , عن قصد أو غير قصد

وقد نجحت تلك الأساليب وأوجدت لها أحزابا وتكتلات وأنظمة حكم وأجهزة أمن وإعلام , أسهمت في تحقيق إرادتها الحائرة المتخبطة المجردة من البرامج الحكيمة للإنجاز.

ولازال ناعور التناقض ما بين القول والفعل , يتنامى في أصقاع البلدان ويؤدي إلى تداعيات وتمزقات , وتفاعلات تناثرية لأبناء المجتمع الواحد.

في بداية القرن الجديد تم رفع رايات الدين وشعاراته البراقة وكلها تنسج بذات المنوال , أي أنها تسعى إلى قتل الدين وتمزيقه , وتحقيق أعلى درجات الصراع الدامي ما بين أبنائه

وفي بداية القرن الجديد تم رفع رايات الدين وشعاراته البراقة وكلها تنسج بذات المنوال , أي أنها تسعى إلى قتل الدين وتمزيقه , وتحقيق أعلى درجات الصراع الدامي ما بين أبنائه , وبهذا وُجدت الأحزاب الدينية والأنظمة الدينية والتكتلات والتفاعلات التي تسمي نفسها دينية , وانطلقت في الساحة لتعلن الحرب الشرسة على الدين , وهي تدّعي ما تدّعيه وتسمي ما تسميه , وتفتك بمَن تفتك لكنها تقول بأنها دينية.

حتى صار الآخرون يقولون أن كل ما في الكتاب والسنة كذب وإدّعاء , فالدين الحقيقي ما ترونه يحصل في هذه الأرض وتلك من الصراعات

حتى صار الآخرون يقولون أن كل ما في الكتاب والسنة كذب وإدّعاء , فالدين الحقيقي ما ترونه يحصل في هذه الأرض وتلك من الصراعات , حيث يتم القتل البشع لأبناء الدين الواحد , وفقا لسلوكيات وتقنيات طائفية متطرفة يتم توثيقها وبثها عبر شبكات الإنترنيت , وهي تحمل شحنات عاطفية إنفعالية شديدة جدا , لتقول للدنيا بالفعل المصور الموثق , بأن هذا هو الدين وكل كلام غيره خداع وتضليل.

فالفعل يهزم القول والقول قناع!!

لم نتعظ من الماضي لأننا من أجهل أبناء الأرض بماضينا , ولا يوجد قائد فينا يفهم تأريخ أمته ويستوعبه , ويدرك قوانينه الحضارية ومعايير المجد والعزة والقوة والإبداع الخلاق الكامنة فيه

ولم نتعظ من الماضي لأننا من أجهل أبناء الأرض بماضينا , ولا يوجد قائد فينا يفهم تأريخ أمته ويستوعبه , ويدرك قوانينه الحضارية ومعايير المجد والعزة والقوة والإبداع الخلاق الكامنة فيه , لتصورنا بأن من المعاصرة أن نمعن بجهل تأريخنا وفهمه بالمقلوب.

على الدنيا أن تفهم تأريخنا وقوانينه , وما علينا إلا أن نمعن في جهله وتخريبه وإنكاره وتكذيبه

وعلى الدنيا أن تفهم تأريخنا وقوانينه , وما علينا إلا أن نمعن في جهله وتخريبه وإنكاره وتكذيبه. فهم ينهلون من ماضينا جواهر الأفكار ويعبّرون عنها بأروع الأفعال , ونحن نستحضر أسوأ الأفكار ونقوم بأبشع الأفعال لننسف تاريخنا وتراثنا وفقا لسموم التراث والمعاصرة , التي فتكت بعقولنا وأرواحنا ونفوسنا فتحوّلنا إلى عصف مأكول.

هم ينهلون من ماضينا جواهر الأفكار ويعبّرون عنها بأروع الأفعال , ونحن نستحضر

وتلك حقيقة محنة أمة تجهل ماضيها وتكرهه كرها شديدا وتريد الإنتقام منه , ومأساة أجيال يتم طحنها في رحى الإتلاف الحضاري , وإستخدام طاقاتها لتحقيق غايات وأهداف وتطلعات الآخرين وفقا

لآليات كن أو لا تكون!!

فلا يوجد مثل هذا التوجه والهوس في المجتمعات الأخرى , ذلك أن التأريخ بأحداثه وتطوراته يُحسب على أنه تجربة يُستخلص منها العِبر , وتكون منارا ومقياسا يُستفاد منه بإتخاذ القرارت الصائبة , والمجتمعات المبتورة عن تجارب أجيالها لا يمكنها أن تكون قوية وعزيزة وآمنة.

ولهذا تجد الصين والهند واليابان وأوربا , وغيرها من المجتمعات تستنير بما تعلمته من ماضيها , فرسمت مسيرتها وفقا لإيقاع خطوات الأجيال.

أما في مجتمعاتنا فأن الخلط قائم ما بين التراث والدين , ويتم إختصار التأريخ بالدين , مما جعل الموضوع مشوشا ومضطربا , فوصل إلى ما وصل إليه , لأنه كان يسير على سكة منحرفة , فالدين ليس التراث وإنما هو جزء منه , والدين لا يعني التأريخ وإنما هو فيه , والتأريخ حركة بشرية ذات تفاعلات سلوكية شاملة متراكمة , يُستفاد منها كتجارب لمنع التكرار.

وفي مجتمعاتنا الأحداث تتكرر , ولا يوجد أي تأثير للتجارب السابقة في الحاضر , لأننا لا نمتلك مهارات التعلم من التجارب , ولهذا نعيد ذات السلوك مرارا وبلا إعتبار ونضج سلوكي.

فالتأريخ تدوين الأحداث بهدف إستخلاص العبر منها والإستفادة من نتائجها وعدم تكرار أخطائها وإعادة ويلاتها وتداعياتها , وهو فضاء واسع لإطلاق قدرات الأجيال , لا حفرة تُطمر فيها مواكبها المتعاقبة.

والتراث حالة تنويرية , ومِشعل إرشاد , وبوصلة توجيه لسلوك الطريق الصحيح للوصول إلى موانئ الأمان والإقتدار.

فالتراث لا يعاصر بل يُناصر!!

بمعنى أن التراث يمنح الزمن قدرات الإنطلاق المتنور بالمعارف الناضحة من التجربة والمسيرة المزدحمة بالأحداث والخبرات , والقوانين التفاعلية الصالحة لحياة أفضل وأرقى.

أما أن يكون الحديث عن معاصرة التراث فهذا إنحراف سلوكي , وتقدير مريض يؤدي إلى توليد التداعيات ومنع الحركة للأمام.

فالتراث ما تخلفه الأجيال من نشاطات وإبداعات وأحداث وعمران وأفكار ومعتقدات وتقاليد وعادات , ويفترض أن يكون عونا للحياة لا عبئا عليها.

ولا بد لكل صيرورة متأتية من تفاعلات سلوكية سابقة , أن تمر بمراحل إعادة التصنيع في مراحل الأجيال المتجددة.

أسوأ الأفكار ونقوم بأبشع الأفعال لننسف تاريخنا وتراثنا وفقا لسموم التراث والمعاصرة , التي فتكت بعقولنا وأرواحنا ونفوسنا فتحوّلنا إلى عصف مأكول

أما في مجتمعاتنا فأن الخلط قائم ما بين التراث والدين , ويتم إختصار التأريخ بالدين , مما جعل الموضوع مشوشا ومضطربا

الدين ليس التراث وإنما هو جزء منه , والدين لا يعني التأريخ وإنما هو فيه

التراث لا يعاصر بل يُناصر!!
بمعنى أن التراث يمنح الزمن قدرات الإنطلاق المتنور بالمعارف الناضحة من التجربة والمسيرة المزدحمة بالأحداث والخبرات , والقوانين التفاعلية الصالحة لحياة أفضل وأرقى

ذلك أن التوالدات المتفاعلة عليها أن تساهم في ترتيب أوضاع زمانها ومكانها , وتحديد مرتكزات إنطلاقها وتحققها في حاضرها.

فالحديث عن التراث يجب أن يكون بلغة إيجابية متفائلة , متحررة من أصفاد الأسر في حفر الظلمات.

التراث طاقة إشراقية لا تحتاج إلى دعاوى المعاصرة , لأن الضوء يخترق ويتمدد ويتفاعل مع مكانه وزمانه ولا يحتاج لوسيط أو تعريف أو دليل.

والمعاصرة تعني المناصرة , أي أن يكون العصر الذي تعيشه مناصرا لما سبقه من العصور , وذلك بالإستفادة من التجارب والأحداث والتطورات التي حصلت ومرت في الأزمان السابقة.

إن الإستحضار الأعمى المزيف للتأريخ يتسبب بمعوقات حضارية , وتأثيرات تدميرية على غيقاع الخطوات الحضارية المطلوبة , ذلك أن إلقاءه على بساط التفاعلات بقضيضه ونفيضه يشكل عبئا ويحفر خنادق ويبني مصدات قاهرة.

إن المطلوب والمناسب أن نكتشف العبر ونستخلص الدروس , التي تعيننا على البناء والتقدم وتقيني من العثرات والإنكسارات والخسران والإنهزام , لا أن نتعثر بتراكمات إستنزافية وتفاعلات تقويضية وإندثارية ذات نوازع تفسخية متعفنة.

فالتراث عندما يصبح محنة فأنه يضر ولا ينفع , ويُميت ولا يُحيّ , وعندما يكون التفاعل معه إنفعاليا ومعززا بالعواطف السلبية , فأن الإقتراب منه يعني السقوط الموجع في مهاوي الضياع المُهين.

ولن نتعافى من هذه المعضلة إلا بإدراك قيمة ما عندنا , وإمتلاك مهارات إستخلاص المعاني والدروس المعرفية والسلوكية الضرورية لتعزيز الإقدام والتقدم.

التراث طاقة إشراقية لا تحتاج إلى دعاوى المعاصرة , لأن الضوء يخترق ويتمدد ويتفاعل مع مكانه وزمانه ولا يحتاج لوسيط أو تعريف أو دليل

المعاصرة تعني المناصرة , أي أن يكون العصر الذي تعيشه مناصرا لما سبقه من العصور , وذلك بالإستفادة من التجارب والأحداث والتطورات التي حصلت ومرت في الأزمان السابقة

لن نتعافى من هذه المعضلة إلا بإدراك قيمة ما عندنا , وإمتلاك مهارات إستخلاص المعاني والدروس المعرفية والسلوكية الضرورية لتعزيز الإقدام والتقدم

*** *** *** ***

شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل
مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد
مركز بصائر للأبحاث والدراسات النفسية
Bassaaer
وفي التفسخ أقل تبصرون
Arabpsynet